القومية العربية في سوريا سنوات التكوين

١٩٠٨ ـ ١٩١٤

د. رشيد خالدي

من المتفق عليه عامة ان القومية العربية الحديثة تطورت ، اولا ، كحركة سياسية ذات دلالة في سوريا في السنوات الاولى لهذا القرن. ورغم ان تأثير المهاجرين السوريين في القاهرة في مطلع القومية العربية لا يمكن انكاره ، فلا شك ان سوريا كانت المسرح الاول للتعبير عن القومية العربية ، كحركة جماهير ، مع وقع سياسي ملموس ، اكثر منها تيارا فكريا متطورا ؛ (١) ذلك ان سوريا (التي يعرفها المقال بأنها تشمل سوريا الحديثة وفلسطين والاردن ولبنان) خلال السنوات من (١٩٠٨) حتى الحرب العالمية الاولى شهدت نمو حركة سياسية بلا منازع، حتى ذلك الوقت ، في سياسات المنطقة .

هذه الحركة بالطبع يمكن اطلاقها على مجموعة من الاعضاء المتفرقين المنتمين الى الطبقات العليا ، بدون اي ايديولوجية سياسية واضحة ، والذين يتمتعون بدعم شعبي قليل ، خاصة من وجهة نظر عدم فاعليتهم في مواجهة الاتراك خلال المراحل الاولى من الحرب (٢) . وبالرغم من ذلك، كما سنرى ستكون هذه الحركة ، للاصلاح المحلي واللامركزية ولمقاومة جمعية الاتحاد والترقي « التتريكية » ولبعض الاستقلال الذاتي في سوريا، الرائدة في حركة القومية العربية التي قاومت الحكم الفرنسي والبريطاني في العشرينات والثلاثينات .

ان النزاع السابق للحرب مع الاتراك ، والثورة العربية المتأخرة خلال الحرب (انطلقت ظاهريا باسم القومية العربية) ، وفترة ما بعد الحرب للحكم العربي في دمشق ، كلها أمدت القومية العربية الحديثة بايديولوجيتها وقيادتها الاساسية وبهمومها المباشرة واوائل شهدائها .

ان الفترة ما بين (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) سبقتها بالطبع تحركات متعددة للشعور الاستقلالي وحتى القومي في سوريا . وبينما نسجل هذه التحركات ونذكر بأهميتها وبأهمية الحركة اللغوية والثقافية المسماة بجدارة «اليقظة العربية » فمن الضروري ان نتذكر ان التطورات المبكرة حتمت قليلا من التنظيم السياسي او عدمه ، وان هذه التطورات لم تمثل ، او تدخل الاكثرية ، او قسما اكبر من الشعب في سوريا .

ومهما قيل عن الحركة التي تطورت من (١٩٠٨) حتى (١٩١٤) فان التهم لا يمكن ان تنال منها . ان افتتاح عهد السياسات الحزبية الذي تبع ثورة (١٩٠٨) ونمو الصحافة في الوقت نفسه (تأسست خمس وثلاثون صحيفة جديدة في سوريا خلال اثني عشر شهرا بعد الثورة وحوالي الستين في بيروت من (١٩٠٨) حتى (١٩١٤) (٣) ، يعني تحولا نوعيا في طبيعة السياسة في المنطقة . ان الطبقة نفسها، المنقسمةالى تحالفات متعارضة ، كالتي تأسست في السابق ، تابعت السيطرة على السياسة المحليةفي المدن السورية . لكن هذه السيطرة حتمت ان يعبر عنها خلال اجهزة جديدة من القوة وضمناصطلاح جديد ، وهذا أعطى الافراد والجماعات من خارج هذه الطبقة حظوظا للوصول الى الساحة السياسية بواسطة الصحافة .

اكثر من ذلك ، نتج عن اعادة فرض الدستور عام (١٩٠٨) تورط جماهير المدن في السياسة بطريقة متغيرة . هذه الجماهير كانت دائما بالطبع جزءا من العملية السياسية ، خاصة بشكلها المتعلق بالراي العام ، المحبذ مرة لهذا واخرى لذاك ، من احزاب « الوجهاء » في الصراع المحلي من اجل السلطة (٤) .

على أي حال ، ومع الانتخابات والصحافة الحرة ووجود اكثر من حزب سياسي واحد في السلطنة للتنافس من اجل الصالح العام ، اصبح الحقل السياسي اكثر اتساعا ، جذريا، وبالتالي تعاظم الدور الفاعل للرأي العام ولجماهير المدن .

الاحساسات الاولى

وقبل متابعة مناقشة هذه التطورات يجدر بنا ان نذكر باختصار بعض المظاهر المبكرة للاحساس بالقومية العربية في سوريا :

ان بدء هذا الشعور يرد مباشرة الى تراجع الولاء ، العربي والسوري ، للامبراطورية العثمانية ، ولعدم رغبة متزايدة من العرب في قبول حكم الاتراك . ان هذه التطورات بالطبع افترضت مسبقا تراخي الروابط الدينية الاولية التي ربطت الشعب المسلم غير التركي بالامبراطورية .

وكنتيجة لضعف الامبراطورية في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ومع الاصلاحات الزمنية في الفترة اللاحقة ، كان لا بد لهذا ان يحدث في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر . وعندما توقفت الامبراطورية العثمانية عن كونها دولة اسلامية قوية ، وعندما توقف السلطان عن الحكم كقائد مسلم بالطريقة التقليدية ، وبعدما ادخلت السياسة العثمانية المسيحيين واليهود كأعضاء متساوين في المواطنية ، فقدت العوامل التي هيأت العرب للموافقة على الحكم العثماني ، رغم خضوعهم للعنصر التركي في الامبراطورية ، واختفت او فقدت وزنها . وهكذا فان السنوات التي تلت ادخال الاصلاحات الحديثة في الامبراطورية شهدت عدم رضى متزايد بين الشعب العربي في الامبراطورية ، عدم رضى كثفته عملية التفكك الاقتصادي التي نتجت من وقع الاقتصادات الاوروبية على الاقتصاد المحلي (٥) .

ان المظاهر القومية الاولى لعدم الرضى ذاك ، لحظها مراقبون اجانب عام (١٨٥٠) ، مع انه بدا واضحا ان هكذا مشاعر لم تكن منتشرة في تلك المرحلة المبكرة . رغم ذلك ، ووفقا لتقارير من مراقبين اجانب في حلب وبيروت والقدس ، كان هناك بعض الموضوعات المشتركة التي تتخلل مظاهر التعبير عن عدم الرضى عندالعرب في هذه المرحلة : كره للحكم التركي وبصورة متزايدة للاتراك ؛ رغبة في شكل من الحكم الذاتي عند العرب ؛ وعي قومي او عنصري عربي متزايد عبر عن نفسه بفخر في اللغةالعربية (٦) .

هذه العوامل جميعا شارك فيها صدفة عديدون ، ان لم نقل الاكثرية من المسيحيين ، وسنرى انهم جميعا لعبوا دورا مهما في اطلاق الشرارة الاولى لتعبير واسع المدى عنعدم الرضى العربي في السنوات التي تلت اعادة فرض الدستور سنة (١٩٠٨) .

على كل حال ، كان هناك ، خلال العقود ، ما بين الاشارات الواضحة الاولى « لليقظة العربية » في سنة (١٨٥٠) و (١٨٦٠) وما حولها ،والنمو المميز لردة الفعل العربية السياسية تجاه السيطرة التركية بعد (١٩٠٨) ، كان هناك في الواقع قليل من عدم الاستقرار المشتعل بين الشعب العربي في الامبراطورية . واذا وضعناجانبا المعارضة للسلطان من قبل قلة من النواب العرب المنتخبين في المجلس القصير العمر (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) ، وبعض الكتابات ضد حكم عبد الحميد الاستبدادي من قبل رجال مثل عبدالرحمن الكواكبي ونجيب عازوري وغيرهم من المفكرين المنفيين ، كانت هذه الفترة ذات هدوءنسبي بين عرب الامبراطورية. وبصورة متناقضة فان احد الاسباب لهذا يكمن في الاستبداد نفسهوالمحافظة الدينية اللتين انتقدهما معظم معارضي السلطان بمرارة .

وباتخاذه مظهر مقاومة الغرب ومعارضة التطور ، وبعروضه الظاهرية للتقوى واحترام الشرعية ورجال الدين ، واخيرا بسياسته الاسلامية المدركة ، نجح عبد الحميد في تهدئة مخاوف المسلمين المحافظين الذين اثارتهم اصلاحات وسياسة والده السلطان عبد المجيد . وهكذا شل السلطان عبد الحميد اي نداءات محتملة للانشقاق بين الشعب . يضاف الى ذلك ان السلطان بدا بمظهر الذي خصص عناية معينة لسوريا ، ربما لخوفه من عدم الرضى الفاعل الذي تحقق هناك . فقد شهد حكمه فتح العديد من المدارس الجديدة والمساجد في المدن السورية ؛ وقد اختار عدة سوريين كمقربين يثق بهم وادخل قوات سورية في حامية القصر . واكثر من هذا كانت احدى اهم مبادرات حكم عبد الحميد انشاءالخط الحجازي وهو مشروع ذو فائدة اقتصادية كبيرة لسوريا مما زاد من شأن السلطان كحام للمدينتين المقدستين مكة والمدينة (٧) .

وهكذا بحصوله على دعم الفئات المحافظة من المسلمين ، وبابعاده العناصر الليبرالية المعارضة والناقمة ، قوّى عبد الحميد حكمه الشخصي وزاد من شعبيته في سوريا ؛ الا ان كل هذا لم يمنعبالطبع الانقلاب عليه، كل ماحصل هو تأخر في نمو القومية العربية، ذلك ان الجيش والادارة الحكومية ، اللذين جعلهما عبد الحميدقويين وحديثين ، لم يبقيا بمنأى عن الآراء السياسية ذات العلاقة بالتقنية الغربية واشكال التنظيم .

وفي تموز ـ يوليو (١٩٠٨) انهت الحكم الشخصي للسلطان ثورة القوات المسلحة ، حين نظم الثوار ، جمعية الاتحـــاد والترقي المؤلفة اساسا من صغار الضباط الناقمين وصغـار الموظفين الحكوميين (٨) .

ان القبض على السلطة من قبل الشباب الراديكاليين اصحاب التحديث (الذين قويت سلطتهم عندما احبطوا محاولة لقلبهم في نيسان ـ ابريل (١٩٠٩) وعزلوا السلطـان العجوز) لـم يحل المشاكل الوطنية التي كانت منسية او مغمورة خلال حكم عبد الحميد. لذا خرجت هذه المشاكل الى النور ، في الواقع ، باعتبار ثورة (١٩٠٨) كانت تعني كل شيء للجميع : فبالنسبة للاتراك الشباب الذين صنعوا الثورة كانت بمثابة الفرصـة الاخيـرة للامبراطورية العثمانية لتصبح حديثة ، وتستعيد قوتها وتبعد التفسخ الذي كان يتهددها . وحتى يتحقق ما يراد لها كان ينبغي للدولة ، ان تقوى ، وتوسع قواتها المسلحة ، وتضع مساحات الامبراطورية المنتشرة تحت الحكم المباشر للعاصمة ؛ وهذا يعني مركزية اكبر في ادارة الامبراطورية ومن حولها الجوهر التركي . وهناك فريق آخر من هؤلاء الذين ساندوا الثورة في البدء (اغلبيتهم تحولت اخيرا الى معارضة لجمعية الاتحاد والترقي) توسلوا استقلالية وطنية ومحلية اكبر ، كوسيلة لانقاذ الامبراطورية. ان سياسة كهذه لاقت ترحيبا حارا من اعضاء عديدين ضمن الاقليات الوطنية في الامبراطورية (من بينهم العرب) الذين اعتبروها اكثر ملاءمة لطموحاتهم الوطنية . ان مقاومة هذا الميل الـى اللامركزية ، والتي جاءت اساسا ، ولكن ليس فقط ، من قبل عناصر تركية ، كانت مرتكزة الى الخوف من ان اللامركزية سوف تسرع مـن تفكك الامبراطورية ، وتخدم مخططات القوى الاوروبية المنتظرة .

وعندما سيطرت حكومة جمعية الاتحاد والترقي ، بعد فوزها ، على القوى الرجعية ، في نيسان ـ ابريل (١٩٠٩) ، في محاولة لفرض برنامجها المتعلق باعادة التنظيم في المقاطعات والمركزية الادارية ، وقد اثار هذا ردة فعل قوية في المقاطعة العربية . وكما ذكر سابقا ، كانت ردة الفعل هذه تعبيرا عن النقمة ، ليس من قبل قسم مـن الطبقات العليا الغنية والمتعلمة ، ولكن من قبل اعداد ملحوظة من سكان المدن من الطبقتين المتوسطة والدنيا ايضا .

ومن الخطأ الافتراض ان المعارضة الشعبية وشبه القومية لجمعية الاتحاد والترقي، والتي تطورت في سوريا بعد (١٩٠٨) ، مثلت حركة قومية متجانسة . ورغم النقمة العامة حول مشاكل اللغة والجنسية ومسالة الاستقلال المحلي التي ارتدت ثوب المظاهرات والعرائض والحمـلات الصحافية والخلافات البرلمانية ، فان هيكلية المجتمع السوري بقيت اساسا بـدون تغيير . والصحيح ايضا انه قبل وخلال هذه الفترة الدستورية القصيرة كان هنـاك توسع ظاهر فـي انظمة المدارس السورية المتنوعة ـ حكومية ، خاصة ، اجنبية وتقليدية ـ (٩) ، وبعد رفع الرقابة التي اقامها عبد الحميد كانت هناك زيادة هائلة في عدد الصحف والمطبوعات الدورية والكتب المنشورة .

الا ان السيطرة التقليدية على السياسة المحلية ، من قبل الملاكين والتجار والشخصيات

الدينية ، لم تستمر فحسب ، بل وجدت تعبيرا جديدا في فترة جديدة من العمل السياسي الحر الذي تمثل باعادة البرلمان العثماني . وفي انتخابات (١٩٠٨ و ١٩١٢ و ١٩١٤) انتخب اعضاء من الطبقات العليا ، مع استثناءات قليلة ليمثلوا سوريا ، حيث التحق كثيرون منهم بالمعارضة واخرون بجمعية الاتحاد والترقي . لذا يبدو لنا من السهل القول مع س. ايرنست دون : ان « الصراع بين القوميين العرب والعثمانيين في سوريا ما قبل (١٩١٤) كان صراعا بين اعضاء متنافسين من النخبة العربية . » (١٠)

يضاف الى ما سبق عامل آخر كان، باجتماعه مع زيادة الحرية السياسية وتطور المواصلات، قد ساهم في تورط كثيرين من سكان المدن في هذا النزاع . كان هذا هو التأثير المباشر للاصلاحات المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في ما يتعلق بسكان المدن خاصة . ولاول مرة اصبحت اللغة التركية الزامية ، بدلا من العربية،في المحاكم ومكاتب الحكومة ؛ واصبح استعمالها الزاميا في مدارس الدولة . وكان على صغاروكبار رجال الاعمال ان يتابعوا اجراءات المحكمة بالتركية ، وصغار طلاب المدارس كان عليهم تعلمها (حتى العربية كان يتم تعليمها في كتب تركية) (١١) . واضطر الكثير من الرسميين الى التعاطي مع موظفي الحكومة بلغة غريبة او بما هو اسوا ، اي بواسطة المترجم .

وحتى تنفذ الاصلاحات (ويجري التأكد من امكانية الاعتماد السياسي على الادارة المحلية) استبدلت الحكومة الموظفين الرسميين السوريين المحليين ، الذين جرى اختيارهم خلال حكم عبد الحميد ، برجال جدد يجهلون العربية ، عادة ، والاوضاع والعادات المحلية في المقاطعات السورية (١٢) .

وكنتيجة لهذه الاجراءات المزعجة والتافهة، اي استبدال العربية بالتركية خاصة ، مما اثار المسلمين المتدينين ، ابتعد الناس عن النظام الجديد وعن جمعية الاتحاد والترقي المسيطرة . لذلك اصبحوا متقبلين للتحريك الديني والرجعي ، من قبل الاعضاء المتفرقين من الطبقات العليا الذين استفادوا من نظام عبد الحميد، كما اصبحوا متقبلين ايضا لنوع جديد من التحريك . هذا النداء الجديد وجهه رجال ذوو مراكز مهمة ، خلال النظامين القديم والجديد (معظمهم كانوا نوابا في برلمان (١٩٠٨) ، والذين تكلموا بتعابير التفرقة التركية ضد العرب ، وعدم شعور الحكومة المركزية بحاجات ومطالب المقاطعات السورية ، وضرورة معالجة مشاكل اخرى ، اذا شاءت الامبراطورية الا تتفسخ تحت ضغط القوى الاوروبية المتنافسة .

وبالنسبة للتأثير الكبير الذي اكتسبته فرنسا وبريطانيا في سوريا وتاريخهما في العبث بالشؤون السورية ، اخذت تنبيهات المصلحين السوريين جديا ، وقبلت على هذا الاساس من جمعية الاتحاد والترقي المعارضة ، رغم ان هذه الاخيرة لم تقبل الحل المقترح والذي يقوم على استقلالية محلية اكبر .

وبمعنى آخر كانت المشكلة عبارة عن وجهة نظر متباينة ، حول ما كانت عليه الامبراطورية العثمانية، وما يجب ان تكون عليه بعد ان اضحت تنظيماتها التقليدية والايديولوجية ذات طراز

قديم . ان قادة جمعية الاتحاد والترقي ، واكثرهم صادق ، وان كانوا ، الى حد ما ، قصيري النظر ومواطنين يتصورون الامبراطورية ، فيعهد ما بعد عبد الحميد ، انها دولة كغيرها ، حيث السوابق الاوروبية والنظريات السياسية يمكن تطبيقها بحرية اكثر او اقل. وفي الحصيلة، اخذ هؤلاء كثيرا عن الفكر السياسي الفرنسي والاشكال الحكومية الالمانية . وقد اتخذوا المظهر العملي مع وضوح قليل في الفكرة التي ارادوها، بالاضافة الى تقوية الامبراطورية ، لتمكينها من تجنب الانهيار والتفكك اللذين يهددانها .

الا ان التدابير التي طبقها الاتراك الشباب، في سنوات قوتهم ، دلت على عدم تحبيذهم للقومية وخاصة لدى الاقليات ، وعلى عدم تفهمهم الجزئي لمصالح الامبراطورية ومصالح الاتراك . ان السيطرة التي مارسها الجناح العسكري داخل اللجنة والحكومة ، والتي جعلت المخاوف متزايدة ، امتدت مع مرور الزمن ، على حساب قادة مدنيين من ذوي المرونة . ان السيطرة العسكرية في الجمعية كانت شبه تامة من سنة (١٩١٣) فصاعدا . وهناك نقطة اساسية وافقت عليها جميع اجنحة جمعية الاتحاد والترقي ـ رفض مشاركة حزب آخر او مجموعة وطنية في اخذ قرارات الدولة ـ ، شكلت هذه النقطة موضوع النزاع بين اعضاء الجمعية و«العروبيين» (تعبير لـ Dawn يعني به اوائل المحبذين للقومية العربية). والاخيرون كانوا مهتمين طبيعيا بالمشاركة في القوة السياسية وسط الامبراطورية، ويطمحون الى مدى اوسع من الاستقلالية المحلية للمقاطعات السورية ، وهذا يعني في الواقع ان الدولة العثمانية يجب ان تشارك غيرها لاول مرة في العائدات وفي عملية اخذ القرارات . وهذا لم يكن مقبولا البتة ، من قبل جمعية الاتحاد والترقي ، لاسباب عميقة في ايديولوجيتهم ، ولخوفهم مما تخطط له القوى الكبرى ، خاصة بريطانيا وفرنسا . وفي ظل هذا الصراع كان هناك نضال ، للسيطرة على الموارد المادية والسياسية لسوريا ، بين القوى المسيطرة على الادارة المركزية وبين النخبة المحلية . ان الاشارات الاولى لهذا الاختلاف الفاعل حول مشاكل سابقة سينعكس على مستوى الجماهير ، وذلك بعد التأثير الكامل لاعادة تنظيم الادارة العثمانية في سوريا اواخر (١٩٠٩) واوائل (١٩١٠) ، وبعد عملية التطهير الواسعة التي كانت جزءا من اعادة التنظيم ، فانتشر الاقتناع بأن عناصر النخبة المحلية ابعدوا عن وظائفهم ، ليفسحوا في المجال امام الاتراك (رغم ان العملية لم تكن كذلك ، اذ صودف انهم كانوا من غير الجنسية التركية) . وعندما عاد موظفون رسميون ، ومعظمهم من السوريين ، الى بلادهم ، ساعدوا على نشر الفكرة القائلة ان اصلاحات جمعية الاتحاد والترقي كانت تقصد تقوية التفوق القومي التركي في الامبراطورية (١٤) . وقد وصل الرأي العام في المناطق السورية ، بسرعة ، الى الاستنتاج نفسه بعد تنفيذ الاجراءات التركية كاملة .

وفي شباط ـ فبراير (١٩١٠) اصبحت مشكلة اللغة موضوعا مثيرا للجدل الكثيف . ففي بيروت ، مثلا ، برزت اعتراضات عامة عديدة ضد الانظمة التي توصي باعتماد التركية لغة رسمية وحيدة في الدوائر الحكومية ، مع وجود الطلبات بالسماح في استعمال العربية خاصة في المحاكم .

ثم تعاظم الجدل عندما وضحت التدابير الجديدة ، وفي صيف (١٩١٠) كان هناك نقمة عارمة في قطاعات عدة من المجتمع السوري حول الطريقة الحكومية الجديدة في معالجة مشكلة اللغة ومشكلة الجنسية من بعدها .

وفي احدى اوضح الصور لهذه النقمة ، نشأ نوع من العنف في بيروت خلال مظاهرة طالبية (رغم ان التحريض عليها كان يبدو من الطلاب لكنه في الواقع موجه من قبل اهالي بيروت) حول تعيين « رجل من الاناضول » وهومعلم للغة العربية في مدرسة الدولة الاعدادية ، وهذا ادى الى طلبات عامة تبغي ان يعين سوري في هذا المركز (١٦) . وتبعت ذلك حملات صحافية مدبرة ، حول الموضوع ، تتناول مسألةاللغة العربية ومكانتها في الدولة العثمانية . اما الانفعالات التي رافقت هذا النزاع المرير ،فلخصها مراقب بريطاني في بيروت : « بين العلماء والوجهاء ، خاصة، وبين الشعب، عموما،هناك قدر لا بأس به من المرارة والنقمة بسبب سياسة الحكومة الحالية في ارسال ضباط وموظفين الى سوريا ، لا يعرفون الا التركية ويتقصدون احتقار لغة وعادات البلد . في كل حال ، ان الشعور الشعبي (الذي تأثر كثيرا بموقف الحكومة في كل مسألة تخص العرب)يرتفع الان بحدة ضد السلطة المحلية . (١٧) .

هذه المشاعر ، اضافة الى التجاهل الحكومي ، لم تنحصر في بيروت ، لان التدابير نفسها لقيت في دمشق الجواب نفسه . كتب القنصل البريطاني : « ان الشعور العدائي بين العرب والاتراك بدأ ينفذ الى الطبقات الشعبية ولن يبقى طويلا بين الوجهاء وكبار العلماء والحلقات الرسمية » (١٨) . وفي دمشق وقعت حادثة ، ازعجت الراي العام المحلي وسلطت الضوء على نوع المشاكل التي سببتها السياسات الادارية ، هي تعيين موظف تركي يجهل العربية ، ظاهريا ، في وظيفة مستنطق او محقق . وبما ان معرفة اللغة المحلية ضرورية للممارسة الصحيحة في الوظائف الرسمية، وبما ان جهلها يقود الى الظلم،كان هذا التعيين مثار اشمئزاز عام وواسع. (١٩)

الجمعيات العربية

ان التأثير الشامل لردة الفعل العربية هذه ضد سياسات الاتحاد والترقي كان ضئيلا نسبيا ، لكنه على اي حال كان ظاهرا بين العرب ، وخاصة السوريين ، كظاهرة جديدة في تاريخهم الحديث . ومن هنا كان نمو الجمعيات العديدة ، مثل « الاخاء العربي » او « المنتدى العربي » في العلن ، و « الفتاة »، «القحطانية» و « العهد » وهي جمعيات سرية . هذه الجمعيات تأسست ، خاصة ، في اسطمبول من قبل مثقفين وضباط وطلاب وموظفي حكومة ونواب عرب (الطبقة نفسها التي تمثلت اساسافي العضوية التركية لجمعية الاتحاد والترقي) مع فروع ونفوذ في المقاطعات العربية من الامبراطورية ، وفي مصر ، حيث لعبت دورا بارزا في تطور القومية العربية كفكر . وبين هذه الجمعيات السرية كان مهد الحركة الثورية القومية التي تطورت في ما بعد (٢٠) .

كان الاثر الرئيسي لهذه النوادي العامة ، في اوائل عهدها ، ان ترفع وتنشر فكرة الهوية

القومية العربية ، اولا بين اعضائها ، ومن خلالهم بين العرب في الامبراطورية . وكان لهذا الوقع الثقافي الرئيسي ، على الاعضاء المتعلمين في الطبقات العليا ، تأثير متواز على المستوى الشعبي في نقمة متزايدة ضد سياسات الحكومة المركزية ، عند تطبيق مسائل اللغة والجنسية .

واكثر من ذلك ، وحتى اندلاع الحروب في تريبولتيانيا والبلقان ، التي هزت ثقة الناس في جمعية الاتحاد والترقي وفي صلابة الامبراطورية العثمانية ، كانت المجموعات الصغيرة من المثقفين والضباط العرب في مقدمة الرأي العام السوري . ان الدور البارز ، في تطور وتمثيل هذه الحركة الشعبية للاصلاح واللامركزية ، يعود الى امثال شفيق (بك) المؤيد زعيم النواب العرب في البرلمان العثماني ، وعبد الحميد الزهراوي رئيس المجلس ، وشكري العسلي وهو نائب دمشق (٢١) . هؤلاء الرجال كانوا أعضاء في عدة جمعيات علنية وسرية ، ومن بين البارزين في المجلس ، ثم اصبحوا منتمين بمرونة الى حزب المعارضة ابتداء من (١٩١١) وهو « الائتلاف والحرية » (يترجم عادة «الاتفاق الحر») الذي ساند اللامركزية الكبرى .

وحتى نفهم الدور الذي لعبه هؤلاء الرجال ، وكيف جمعوا النقمة الشعبية ، ونقمة الطبقات العليا والبرلمان ، مع لجنة الاتحاد والترقي ؛ سنركز على شكري العسلي الذي هو الرمز لولادة حركة القومية العربية بالاضافة الى بعض الضعف فيها ؛ فبعد خدمة في الدوائر المدنية العثمانية ، وآخرها بصفة قائم مقام الناصرة ، في القسم الجنوبي من ولاية بيروت ، وهو الذي هزم في سن الثالثة والاربعين مرشحي جمعية الاتحاد والترقي في انتخابات يناير ـ كانون الثاني (١٩١١) . ثم جاء الى البرلمان بعافية ، بعد صراع طويل وغير ناجح ، لمنع تحويل عشرة آلاف دونم من الاراضي في شمال فلسطين ، من اصحابها العرب الى المستوطنين الصهاينة الذين اشتروها في غياب اصحابها . وكان وصوله الى البرلمان تحت شعار انتخابي يعد فيه بمحاربة الصهيونية « حتى آخر قطرة من دمه » (٢٢) . ان موقفا كهذا لاقى جوابا ايجابيا في دمشق ، قياسا على اهمية المسألة الصهيونية في سياسات تلك الفترة ، ليس في فلسطين وحدها ولكن داخل المناطق السورية (٢٣) .

وهذا ما وضح عندما نقل العسلي طاقاته الى اسطمبول ، حيث عمل على تقوية الكتلة العربية في البرلمان وقادها في هجوم على سياسة الحكومة ، خاصة ما تعلق منها بالصهيونية . ولما كانت اكثرية النواب العرب حساسة للمشاعر الجديدة ، تجاه جمعية الاتحاد والترقي ، لذا جذبتهم فكرة العسلي ، باعتبار ان الحكومة كانت تهمل مواجهة سياسة الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وهذا ما كان يهم جميع العرب (٢٤) . ان المشكلة الصهيونية كانت الهدف الذي التقت عنده الهجومات على الحكومة ، من خلال تحالف الامر الواقع بين خصوم جمعية الاتحاد والترقي. ان هذه الهجومات الانتهازية اطلقتها المعارضة كوسيلة لجعل ما يسمى بالاعضاء المتطرفين ، في جمعية الاتحاد والترقي ، تحت النار ، قائلة انهم كانوا « يبيعون البلاد الى اليهود » . ان هذه المناورة كانت عملية لان بعض اعضاء الجمعية كانوا يهودا » (٢٥) . ان الهجوم البرلماني الذي شارك فيه النواب العرب بقيادة شكري العسلي، كان مهما ، ليس لانه اضعف الحكومة جديا ، رغم

اهتزاز مؤقت في الجمعية المذكورة ، وليس لان النقد العربي للصهيونية كان مقبولا ، اذ انه كان مسموعا « وسط لامبالاة عظيمة » ، من قبل البرلمان ، عندما بدأ الهجوم في ايار ـ مايو (١٩١١) . وكان هذا حدثا لانها المرة الاولى يجتمع فيها النواب العرب ككتلة حول مسألة ذات اهمية وطنية بالنسبة اليهم (٢٦) . كما كان هذا الحدث مهما ، لان فشل جمعية الاتحاد والترقي، اجبر الحكومة والبرلمان على التنبه الى المطالب المستعجلة للشعب في القسم العربي من الامبراطورية ، وذلك عن طريق النواب ، مما عزز الشعور بين العرب ان النظام الجديد حقق تحسنا قليلا قياسا على القديم .

ان المناقشات الصحافية والبرلمانية التي تواجه فيها آنذاك « العروبيون » و العثمانيون، ومؤيدو ومعارضو الاتحاد والترقي ، والتي تركزت في بعض منها على الخط اللين للحكومة تجاه المسألة الصهيونية ، والتي كان لها وقع في سوريا يمكن قياسه من تقرير سري لاجتماع فرع بيروت في جمعية الاتحاد والترقي في اوائل نيسان ـ ابريل (١٩١١) . فقد جرت محاولة ، بواسطة مبعوث خاص من جمعية الاتحاد والترقي المركزية ، لحمل فرع اللجنة في بيروت على التنديد علنا بحملات العسلي ، لكنها جوبهت « من قبل الاعضاء العرب الحاضرين الذين ، خلافا للتوقع ، عبروا بكثير من التأييد عن موافقتهم على ما قام به ممثلوهم في البرلمان ، الذين قاموا بواجبهم في الدعم» . وخلال اجتماع ثان عقد ، بعد تعليمات صارمة ، من اللجنة المركزية للاتحاد والترقي ، بوجوب اتخاذ تنديد حازم بالعسلي ، كان هناك مزيد من الاتهامات وانتهى الاجتماع « بتمزيق البرقية المرسلة ، بيد احد الاعضاء العرب » (٢٧) ولم يكن ما جرى نزاعا داخليا في جمعية الاتحاد والترقي ، ولم يكن حتى مناقشة تتعلق بأعمال وتصريحات شكري العسلي ، كما اعترف بذلك القنصل العام البريطاني الذي كتب تقريرا حول الاجتماع . ان معارضة الاعضاء العرب كانت ، كما كتب ، تعبيرا عن « نمو روح النقمة في سوريا لاهمال الحكومة ما يعتبر حقوقا دستورية ، تتعلق بالتعيينات في الخدمة الحكومية ، خاصة في المناطق الناطقة بالعربية ، وما يرتبط باستعمال العربية في المحاكم العدلية والادارات العامة ، هذا عدا الاهمال للمصالح المحلية » (٢٨) .

مناهضة التتريك .

ان الاثبات الدامغ هو انه في نهاية السنة الثالثة من الحكم الدستوري في الامبراطورية العثمانية ، تصور شعور قوي بالنقمة ، داخل قطاعات واسعة في المجتمع السوري ، اثناء حكم الاتحاد والترقي وما مثله الاهتمام بالمصالح التركية . وكان الوضع غاية في الوضوح بحيث ان اي مراقب خارجي كان يمكن ان يكتب من دمشق في تموز ـ يوليو (١٩١١) عن « الشعور الثابت والاجحاف تجاه الاتراك والذي بدأ في الظهور داخل سوريا منذ ثمانية عشر شهرا « مضت » . يضاف الى ذلك ما قام به العسلي من دور رئيسي في الهجوم على السياسة العربية للحكومة (٢٩) . وقد لحظ المراقب نفسه ، بعد ذلك بقليل ، ان تدخل العسلي جرى التعتيم عليه ، بواسطة الرشوة ، بالاضافة الى معارضة بعض كبار ناشري الصحف المعارضة لازدياد شراء الصهيونية

للاراضي في فلسطين (٣٠) . وقد بدا واضحا ان العسلي اصبح واحدا من قادة الموجة المتنامية للشعور الشعبي السوري . وكان على معارضة الاتحاد والترقي ، ومناوأة الصهيونية ، ومجابهة المركزية ، ان تتطور بشكل حركة مستقلة اوقومية . ان انهيار دفعة النظام الدستوري مع خسارة القوات المسلحة العثمانية في حرب ليبيا ومع الانهيار في البلقان ، ان هذا كله سرّع الحركة .

كان تأثير الحرب في ليبيا على المناطق العربية من الامبراطورية عظيما ، خاصة بعد ان ظهر بوضوح انه ، مع مواجهة التفوق البحري الايطالي واتفاق القوى الكبرى ، كان على الحكومة ان تعتاد خسارة مقاطعاتها في شمال افريقيا . ان الاثر السلبي على الشعور العربي العام في رغبة الحكومة التخلي عن ارض عربية الى قوة اوروبية ، وفي عدم قدرتها على الدفاع عنها ، قد ازدادا عندما اندلعت الحرب بعد سنة في البلقان . ومع فشل عسكري عثماني آخر ضعفت الروابط ، السياسية والعسكرية والدينية ، التي كانت تشد العرب المسلمين الى الامبراطورية . وعندما اجبر الرعايا على بذل جهد عظيم لاستعادة الاراضي التي خسرتها الدولة في البلقان ، تعارض ذلك مع لامبالاة الدولة في خسارتها لليبيا ، كما لاحظ الناقمون العرب . ان ما جرى في الساحات الرئيسية في مقدونيا ورومانيا وخاصة في ادرنة ، في التاريخ العثماني ، وما جرى على مقربة من مناطق العاصمة جعل هذه المقارنات حتمية ، ولم يكن ذلك فقط لان مقدونيا ورومانيا كانتا مقاطعتين تركيتين ، بل لانهما موطن معظم اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وبلد قسم كبير من الاتراك في الامبراطورية ، وهذا ما تردد في مخيلة النقاد العرب (٣١) . وقد زادت الانتقادات عددا بين ابتداء الحرب الليبية واندلاع حرب البلقان . في هذه الفترة كان انتصار جمعية الاتحاد والترقي رنانا في ما سمي ، في التاريخ التركي ، « انتخاب العصا الطويلة » في نيسان - ابريل (١٩١٢) (٣٢) .

وفي انتخابات سادتها الرشوة وفي التمهيد لانتصار انتخابي ساحق ، اتفق المراقبون الاجانب على وصفه بأنه ملتو (لقد حكم اعضاء الاتحاد والترقي عسكريا على انفسهم كأكثرية مدوية ، كما كتب احدهم) واجهت الجمعية تحديا انتخابيا جديا في المناطق العربية ، مبعثه تفاهم الاحزاب المعارضة ، لدرجة ان حزب المعارضة ضم اعظم المعارضين السوريين للجمعية ، والذين كانوا خطباء ممتازين ، حيث نالوا الفرصة لاظهار معارضتهم لها . وكان لا بد لتحدي الجمعية لسوريا ان لا يبقى بدون جواب . وكجواب على الحملات الكلامية الناجحة ، في بيروت ودمشق وحماه وحلب ، لمرشحي التفاهم والذين رافقهم عضو تركي في الحزب اضافة الى شكري العسلي ، سجل اعضاء الاتحاد والترقي نجاحات في المدن السورية الرئيسية (٣٤) . وفي تناقض ظاهر مع اجتماعات انتخابية « للتفاهم » (حزب المعارضة) عقد هؤلاء اجتماعا مختلطا . وكان من راي جميع الموظفين القنصليين الانكليز والفرنسيين في هذا الوقت ان جمعية الاتحاد والترقي ستخسر حتما الانتخابات الحرة (٣٥) . لم يكن في نية الجمعية بالطبع ان تعقد اجتماعا لانها ملأت الوزارة والادارات المحلية بأعضاء منها ، يمكن الاعتماد عليهم في حال الفشل الانتخابي (٣٦) .

ولعدم اطمئنانهم الى الاحتياطات ، وربما لانهم كانوا محرجين اثناء الحملة الانتخابية، ابتكر اعضاء الجمعية سياسة القمع المصممة لاخافة الجماهير . وبعد اسبوع على خطاب ناجح في بيروت ، وقع العسلي ضحية اغتيال مدبر قرب منزله في دمشق (٣٧) ، بالاضافة الى ان احدى صحف المعارضة في دمشق « المقتبس » منعت من الصدور واضطر مالكها وناشرها ، محمد كرد علي ، الى الهرب خارج البلاد تحت تهمة الخيانة ومحاولة قلب الخلافة (٣٨) . وفي حيفا بدات اجراءات عدلية ضد مجموعة من ثمانيةشيوخ ، ذوي جنسية غير واضحة ، وصلوا حديثا من بيروت واتهموا بالتبشير بالخلافة العربية (٣٩) . ان المحاكمات في دمشق وحيفا القت الضوء على مخاوف جمعية الاتحاد والترقي . ولم تكن الجمعية خائفة فقط من المعارضة السياسية العادية ، بل كانت ايضا مشغولة البال من معارضة عربية على نطاق واسع ضد الاتراك والامبراطورية ؛ هذا الخوف لم يكن بالتاكيد موجودا قبل سنتين لان « كرد علي » عندما حوكم بتهم مماثلة على مقالات صحافية جرت تبرئته بسهولة (٤٠) .

وقد يكون من السهولة بمكان القول ان النزاع السياسي في سوريا ، في تلك الفترة ، قد حل نفسه في خلاف عربي مع الاتراك . فقد كان هناك حزب كبير ، بين الطبقات العليا السورية ، يرتبط كثيرا بجمعية الاتحاد والترقي ، وبين الشعب بقيت الشرعية الدينية والسياسية للدولة ، رغم الدعاوة الى خلافة عربية يرى فيها الاتراك تهديدا للركيزة الايديولوجية في الحكم العثماني . على اي حال ، ظهرت معارضة واسعةمن الشعب الواعي سياسيا ضد الجمعية . ورغم انهم لم يحتووا « القسم المسيطر من النخبة العربية »، كما كتب Daon ، فانهم اعتمدوا على عدد ملموس من الشعب السوري (٤١) . وهذا ثابت من العدد الواسع من الجرائد السورية والفلسطينية والمصرية وصحف اسطمبول التي استمرت في معارضة الجمعية وعبرت عن مشاعر القوميين العرب ، وفي احصاء اجمالي ، كان هناك على الاقل عشرون صحيفة رئيسية ، بعد سنة (١٩١٠) ، اتخذت بصورة عامة موقفا معاديا للجمعية وللخط الصهيوني (٤٢) . ومهما تكن ميول الطبقات العربية العليا ككل ، فقد كان هناك ميل واضح نحو التعاطف مع العروبة ، بين القسم المثقف من الشعب السوري ، ميل انعكس على الراي العام .

تجاه هذا التهديد الجدي ، ليس لحكمها فقط، بل تجاه استمرارية السيطرة العثمانية على المقاطعات الغربية ، لجأت الجمعية كما شاهدنا الى القمع ، وتابعت هذا النهج ، حتى بعد الانتخابات ، مما اجبر الاركان البارزين في المعارضة امثال العسلي وشفيق المؤيد وعبد الحميد الزهراوي على الفرار الى مصر (٤٣) . لم يدم انتصار الجمعية طويلا ؛ لانها تخلت عن الحكم في تموز ـ يوليو (١٩١٢) ، وتلتها حكومة تفاهم ، في حين اصبح اعضاء الجمعية ضحايا القمع ، بينما عاد السابقون من ضحاياهم من المنفى .

على اي حال، القيت بعض الظلال على الصراع الحزبي في سوريا وبقية انحاء الامبراطورية، في اكتوبر تشرين اول (١٩١٢) ، عندما انهار الجيش التركي في اوروبا امام التقدم المفاجىء للبلغاريين والصرب واليونان . وكنتيجة لهذه الهزائم المذلة والتخلي عن ليبيا (وقع الصلح مع ايطاليا قبل

يوم واحد من اندلاع حرب البلقان) بدأ كثيرون في سوريا ينظرون الى نهاية التسلط العثماني على سوريا ، وهذا ما بدا انه على وشك الانهيار النهائي في آخر (١٩١٢) . الا ان هذا وضع جانبا ، لسنوات قليلة ، بسبب التدخل العسكري العنيف للجمعية ، والذي اسقط حكومة التفاهم الضعيفة التي كانت على وشك تسليم ادرنه ،اضافة الى كونها عاجزة عن منع تفسخ الامبراطورية . لكن ترتيب بعض البدائل للحكم العثماني ، من قبل السوريين ، استمر ، يشجعه سرا الذين وقفوا ينتظرون الربح من تقسيم الامبراطورية ، وخاصة الفرنسيون .

ان نمو القومية العربية كان طبيعيا في تلك الظروف ، يشجعه انتشار الايديولوجية القومية التركية في الجيش العثماني ، وفي انحاء اخرى من الحياة الرسمية ، بالاضافة الى النظام التعليمي . وهنا مثال على نوع التفكير الذي بدأ، يؤيده الاعضاء الاتراك في الجيش ، هذا التفكير الذي اثار معارضة الضباط العرب القوية ، وهو يتلخص في ملحوظة القاها محاضر تركي في اكاديمية اسطمبول العسكرية مخاطبا الاغرار : سننهض من جديد باسم تركيا وتحت العلم التركي. يجب ان تتيقنوا انكم وانسباءكم اتراك وانه لا يوجد اطلاقا ما يسمى بالشعب العربي او الوطن العربي (٤٤) .

وفي جواب على هذه الايديولوجية ، ونظرا لما لمسوه من ابعادهم عن المراكز العليا في القوات المسلحة ، لاسباب سياسية وعنصرية ، بدأ كثيرون من الضباط العرب ينظمون انفسهم في جمعيات قومية سرية تحت زعامة ضباط بارزين من امثال عزيز علي المصري وسليم الجزائري. وكان لجمعية « العهد » ، وهي الاهم ، الدور الكبير في نمو القومية العربية .. وهذا ما سنبحثه لاحقا (٤٥) .

في هذه المرحلة التقى الوضع الحرج لثروات الامبراطورية السياسية ، مع النقمة المتزايدة ضد الحكم التركي ، مع طموحات القوى الاوروبية لاحداث ردة فعل واضحة وغير عادية في اوساط الشعب في سوريا . وكانت لجان الاصلاح التي انتشرت في المدن السورية جزءا من ردة الفعل هذه، التي بلغت ذروتها وذروة التيار العروبي السياسي في المؤتمر العربي السوري في باريس. وقبل مناقشة هذه الاحداث هناك كلمات قليلة ، سترد بالترتيب ، حول ابتداء ردة الفعل . ان تقارير القنصلين البريطاني والفرنسي في المدن السورية الرئيسية ، اجمعت على وصف الموجة العارمة من اليأس والقلق والاضطراب ، التي عصفت اولا بالساحل السوري وامتدت الى الداخل بعد شهرين من الهزائم العثمانية في البلقان . وتدعمت بالاعتقاد ان سوريا كانت على وشك السقوط ، بدورها ، تحت سيطرة القوى الاوروبية ، ولقد تركز الاضطراب حول مسألة اي من القوتين ــ بريطانيا او فرنسا ــ ستسيطر على سوريا في حال انهيار الخطوط الامامية العثمانية على بعد اميال من العاصمة (٤٦) . ووراء ذلك كانت هناك خلفية عند الشعب في سوريا ، في نوفمبر ــ تشرين الثاني وديسمبر ــ كانون الاول (١٩١٢) ، حول التاريخ الطويل للمنافسة الفرنسية البريطانية التي تعود الى ايام نابليون ومحمد علي . ورغم ان هذا التنافس قد يفسر التقارير المبالغ فيها حول حماسة سورية مزعومة لبريطانيا او لفرنسا ، فان هذه المبالغة

يمكن اهمالها بسهولة بعد مقارنة التقارير المتعارضة . وبمعنى معين ، لم يكن ، لا القنصل البريطاني ولا زميله الفرنسي ، يخطئان في وصفهما للرغبة السورية في حكم بريطاني او فرنسي . ولخوف من تحيز فرنسي نحو المسيحيين، قبل بعض مسلمي الساحل السوري الوصاية المصرية البريطانية ، مما جعل مسيحيين كثيرين يؤيدون الاحتلال الفرنسي ، ويفضلونه على الحكم البريطاني غير المباشر (٤٧) .

هذه الفترة مرت بسرعة ، وكان واضحا ان الجيش العثماني والامبراطورية لم يكونا على حافة الانهيار . وقد تبع ذلك حركة قوية للاصلاح الاداري واللامركزية ، مع فروع في معظم مدن المناطق السورية ، بالتعاون مع الادارة العثمانية ، في حزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة الذي ضم عديدين من وجوه القوميين العرب . وتحت تأثير اللامركزية ركزت مجموعات الاصلاح، واهمها كان في بيروت ، ابتداء من كانون الثاني ـ يناير (١٩١٣) على وضع تصميم للاصلاح واللامركزية في المقاطعات ، هذه الخطة كانت ستنفذ في بيروت ، اولا ، لتمتد الى المقاطعات العربية في الامبراطورية ، والتي نالت موافقة حكومة التفاهم (٤٨) . لكنهم كانوا في خوف طبيعي من جمعية الاتحاد والترقي التي حكمت في الثالث والعشرين من كانون الثاني ـ يناير (١٩١٣) . وقد اصبحت المرحلة منافسة ، بين العروبيين ـ الذين اصبحوا أقوياء يدعمهم الشعب من خلال لجان الاصلاح في مدن سوريا المتعددة ـ وبين الجمعية المناهضة ابدا للامركزية بأي شكل اتت . هذا الصراع الذي تغيرت طبيعته ، جزئيا، بناء على الوضع في البلقان ، قاد الى ما ظهر اساسا كانه انتصار للقوميين العرب . وكما سنرى لم يكن شيء من هذا ، واتت النتيجة لتقصر عمر الحركة الاصلاحية .

برنامج للاصلاح

وفي اواخر كانون الثاني ـ يناير (١٩١٣) وضعت لجنة بيروت الاصلاحية ، والتي كانت تتألف لجنتها الادارية من اثنين واربعين مسلما واثنين واربعين مسيحيا ويهوديين ، برنامجها الاصلاحي ؛ وقد دعا الى اللامركزية في المقاطعات والى اعتماد الخبراء الاجانب في الادارات المحلية ، حتى يتمكنوا من استخدام معظم العائدات المحلية (٤٩) . وقد قدمت المقترحات الامنية للجنة في (١٢) آذار ـ مارس (١٩١٣) ، ونشرت في صحف بيروت الوحدوية وغير الوحدوية في مقالات رئيسية حول الحاجة الى الاصلاح وذلك في عناوين متشابهة ، وفي كل مقال كتبه محرر الصحيفة المنافسة . وبالاضافة الى النقاط الواردة في البرنامج الاساسي ، دعا المشروع الاصلاحي ، اخيرا ، لتوسيع قوة المجالس المحلية العامة للاشراف على الانفاق في كل ولاية . وكان الاكثر اثارة للجدل الدعوة الى اعتماد العربية لغة رسمية في الولاية مع كل ما يستتبع ذلك ، بما فيه الطلب الى الوالي ان يتقنها خلال خمس سنوات (٥٠) .

ان النداء ـ البرنامج كان واضحا ، ليس للطبقات العربية العليا فحسب ، ولكن للاعداد المتزايدة من السوريين الذين تعلموا في المدارس الجديدة والعديدة خلال العقود الماضية . ان

الاصلاح المتعلق بالعربية والذي احتواه البرنامج الاصلاحي للامركزية في القاهرة ، فـي الوقت نفسه ، كان ذا أهمية خاصة (٥١) . وهذا واضح من كـون البرنامج الاصلاحي الحكومي ، المقدم في ذلك الوقت ، قد فشل في ادخاله حيث دعا الى قبول العربية مع بقاء التركية لغة رسمية في دوائـر الحكومة (٥٢) . والفضـل في توجيهمقترحات اللجان الاصلاحية ، حيث كان الاهم هو استبدال التركية بالعربية ، يعود الى السوريين المتعلمين ، وطبقة المعلمين ، والحجاب والكتبة وصغار التجار واصحاب المحلات وعمـال المدن والحرفيين . وبعد شهور لعبت هذه المجموعات دورا اساسيا في دعم مقترحات الاصلاح .

وجدير بالذكر ان لجنة بيروت الاصلاحية لم تكن متجانسة سياسيا اكثر منهـا دينيا ، وهذا يظهر مـن عريضـة سرية وقعها خمسة مسيحيين من اصل اثني عشر عضوا في بعثـة الاصلاح التي ارسلت الى باريس من قبل القنصل الفرنسي ، وقد تألفت مـن خمسـة وعشرين عضوا . في هذه العريضة اعلنوا رغبتهم بالحماية الفرنسية لسوريا ، وقالوا ان السبب الوحيد لدخولهم اللجنة كان التأكد من تعيين مستشارين اجانب في سوريا (٥٣) . ان وجود هكذا ميول بين السوريين المسيحيين ، خاصة الموارنة ، كانمعروفا من قبل كثيرين من المصلحين ، وكان موضع شك عند القوميين العرب في القاهرة مثلمحمد رشيد رضا . وهـذا الاخير كتـب فـي « المنار » ، بعد نشر البرنامج الاصلاحي فـيبيروت ، محذرا أنه عند طلب مستشارين اجانب، من الضروري تحديد مهماتهم بالضبط ، وتتضمن خطوط هذا التحذير خوفا دفينا ، من ان دعوة المستشارين الاجانب ، مرة واحدة ، ستجعل السوريين غير قادرين على التخلص منهم (٥٤) . ورغم هذا التوتر الذي كان موجودا ايضا في « اللامركزية » في القاهرة ، فان الحركة الاصلاحية الكاملة في سوريا ومصر والعراق بذلت مجهودا علنيا لتظهر بمظهر الاجماع . وقد كانوا بحاجة الى كل التضامن الممكن ، لان جمعيـة الاتحاد والترقي ادخلت في آذار ـ مارس (١٩١٣) قانونين مؤقتين ، حول تنظيم الولايات ، بعيدين عن تلبية مطالب السوريين (٥٥) . وفي حركة احتجاجية ضد محاولات الحكومة تجنب تنفيـذ الطلباتالاصلاحية ، رفضت وجوه بارزة قبول الوظائف المعروضة عليها او استقالت من وظائفها (٥٦) .وقد استعملت الجمعية بعض السياساتالمعروفة في عهد عبد الحميد ، لقسمة او تثبيط عزم المصلحين ، في محاولة لتحريك انشقاق مذهبي في دمشق واماكن اخـرى (٥٧) ، وبالتوجه الـىانتهازية بعض المصلحين بأن عرضت عليهم عدة وظائف . وقد فشلت هذه المناورات (كثيرونخضعوا للاغراءات بعد اشهر) لوجود الدعم الشعبي والاجماع في الحركة .

وقد لاحظ ذلك وزير الخارجية البريطاني السير ادوارد جراي الذي كتب تقريرا دقيقا عن الاحداث : « ان وحدة المسلمين والمسيحيين من اجل الاصلاح مثيرة للاهتمام » (٥٨) . ان احد اسباب اهتمام جراي ، كان ان الوحدة والرغبة في الاصلاح انتشرا فـي سوريـا بنهايـة ربيع (١٩١٣)، وقد تلقى هو تقارير مماثلة من حلب ودمشق ويافا والقدس . كان واضحا انه في حال نجاح الحركة في تحقيق اهدافها فستكون بريطانيا مدعوة لتقديم المستشارين .

ولا شك ان الاجماع على رفض مقترحات الجمعية ، من قبل الاصلاحيين ، والدعم الشعبي اثارا الوحدويين . وهذا ما يمكن تمييزه مثلا في مقاطع من مذكرات جمال باشا في حديثه عن قادة الحركة (٥٩) . وكانت الخطوة التالية للحكومة ـ اغلاق النادي الجديد للاصلاح في بيروت في ٩ نيسان ـ ابريل (١٩١٣) ـ تستمد تفسيرها من ردة الفعل القوية عند اعضاء اللجنة .

وفي اغلاقه للنادي تصرف الوالي التركي مدعوما بما سماه القنصل الفرنسي العام «العنصر المشاغب في بيروت» . وعندما وجد قادة الحركة الاصلاحية انفسهم محرومين مؤقتا من الدعم الشعبي (الطبقة الدنيا كما سماها المراقب) اقروا بالخسارة المؤقتة (٦٠) . ثم اجتمعوا في اليوم التالى ، محركين اضرابا فعالا لاصحاب المحلات ، وداعين الصحف في بيروت (باستثناء صحيفتين للاتحاد والترقي) الى الظهور يوم العاشر من نيسان ـ ابريل بخطوط سوداء واعلانات رسمية عن حل نادي الاصلاح في بيروت في الصفحات الاولى. وقد أدى هذا الى وقف الصحيفة الاصلاحية « المفيد » وتوقيف ناشرها مع اربعة من قادة الحركة .

حازت الحركة الاصلاحية على دعم الجمهور البيروتي ، لانها ولّدت ، لعدة ايام ، تظاهرات شعبية واسعة انتهت ، فقط ، بعد تدخل قنصلي يؤمن اخلاء سبيل الموقوفين في ١٤ نيسان ـ ابريل ؛ وحتى بعد اطلاقهم ، بقي الشعور الشعبي عارما وبقيت محلات كثيرة مجبرة على الاغلاق من قبل المتظاهرين . وهناك واقع لاحظه مراقبون ، بكثير من الدقة ، وهو ان زعماء الاصلاح ذهبوا بعيدا مع الشعور الشعبي اكثر من انقيادهم له ، وقد كتب القنصل الفرنسي : « ان الاجماع الذي قابل به البيروتيون ضربة الوالي ، في حركتهم الاحتجاجية ، مثير للانتباه كونهم خضعوا لفكرة لا الى اوامر سلطة مثيرة للجدل . ان هذا يدل على اهتمام الطبقة الصغيرة بالاصلاح وباستقلال البلد الذاتي . والحركة عمت الشعب وانتشرت ، وهي تدل على تضامن بين المسيحيين والمسلمين للوصول الى هدف مشترك » (٦١) . ان هذه الكلمات تؤكد ما ذكر سابقا حول اتساع الدعوة الاصلاحية بين جماعات كبيرة من الشعب ، وهذا ما تجاوز الخطوط المذهبية.

فوجئت جمعية الاتحاد بقوة المعارضة المحلية لتدابيرها القاسية (ربما بتأثير جناحها العملي) (٦٢) فاستسلمت نسبيا ، في سوريا ، وسمحت باستعمال العربية في المحاكم ودوائر الحكومة والتعليم ، مع بقاء التركية اللغة الرسمية (٦٣) . هذه التدابير لم تؤخر نمو حركة الاصلاح التي ، بعد توزيعها عرائض جماعية تحتج على اعتقالات نيسان ـ ابريل ، وبعد تلقيها برقيات دعم من البصرة ودمشق والقاهرة ، خططت من جديد لحركة مقبلة . وقد جاء ذلك في برقيات ستة مندوبين في القاهرة وباريس ولندن لتأمين مزيد من الدعم لقضية الاصلاح في سوريا (٦٤) . في الوقت نفسه عقد جمع من الطلبة والمثقفين السوريين المنتمين (بدون ارتباط) مؤتمرا لهم في باريس .

وقد أدى فوز جديد للخط القاسي داخل جمعية الاتحاد والترقي (٦٥) الى مزيد من المحاكمات والقمع والمحاولات التركية لشق المصلحين مذهبيا ، وللتنصل من التنازلات المعطاة

في نيسان ـ ابريل . في هذه المرحلة حدث تطور جديد اذ وضعت خطة لنهضة عربية ، من قبل مجموعة يقودها عزيز علي المصري وسليم الجزائري ، وتتالف من حوالي اربعين ضابطا عربيا يخدمون في الخطوط الامامية العثمانية في البلقان . وقد وصلت الاستعدادات الى مرحلة ارسال وفد من الضباط الشباب الى بيروت لدراسة الموقف (٦٦) . اثارت الخطة اهتمام الكثيرين من مسلمي بيروت ، لكنها لم تؤد الى شيء ، رغم عدم تنبه الاتراك الى ذلك .

اما زيارة المجموعة الاصلاحية الى اوروبا ومشاركتها في المؤتمر العربي في باريس من (١٨) الى (٢٣) يونيو ـ حزيران ، فكانت اكثر فائدة وتمت في وقت قصير . اتصل وفد بيروت بالخارجية الفرنسية ، لكنه لم يذهب الى لندن ، حتى يشترك في مؤتمر باريس . وقد تجنب المؤتمر الاساءة الى الاتراك داعيا الى الاصلاح بناء على الخطوط الموضوعة في بيروت (٦٧) . عندها قررت جمعية الاتحاد والترقي التفاوض ،رغم عدم الوصول الى نتيجة مع الاصلاحيين ، وذلك بتأثير الاعتدال النسبي والتنبه الى امكانيةالتدخل الاوروبي .

وفي مفاوضات مع ممثل الاتحاد والترقي في باريس ، في تموز ـ يوليو (١٩١٣) ، جرت تلبية معظم طلبات الاصلاحيين ومعها ظاهريا الطلبات التي ارتفعت في سوريا منذ ابتداء النقمة العربية عام (١٩٠٩) بموجب الاتفاق يجب انيكون التعليم بالعربية في كل المناطق ذات الاكثرية العربية ، وان يصبح الاشراف المحلي على الادارةاقوى ، وان تصبح العربية الزامية للموظفين في المناطق العربية ، مع تعيين مفتشين اجانب في كلولاية . كما ان هموم الشعب لن تكون من اختصاص المفاوضين العرب فقط، اذ ان ثلاثة وزراء وخمسة ولاة وعشرة متصرفين سيكونونعربا، بالاضافة الى عربيين من كل ولاية داخل مجلسالشيوخ (٦٨) .

ورغم ان العرب اصبح لهم الحق المؤكد في المشاركة بالوظائف العليا ، داخل الامبراطورية ، فان اوائل المستفيدين من عملية رفع العرب الى المراكز العليا ، كانوا زعماء الحركة الاصلاحية من الطبقة العليا .

ولانهم لم يقرروا ، في البدء ، اي تنازل حقيقي للعرب ، او لان مستشاريهم ، اقل مرونة، سيطروا على الاتحاد والترقي ، فقد بدات الحكومة التملص من اتفاق باريس . وفي اتفاقات لاحقة في باريس مع ثلاثة من قادة الاصلاح (الذين تلقوا في ما بعد تعيينات حكومية او دعما انتخابيا) جرى التخلي عن كثير من النقاط المتفق عليها ، وعندما اقرت اهم التنازلات كانت مشروطة (٦٩) . وقد ترجم غضب السوريين ، لفشل الاتحاد والترقي في تغيير طرقها الادارية او في تنفيذ اتفاق تموز ـ يوليو الذي اصبحقانونا ، ترجم بترك العديدين من قادة الاصلاح للوظائف الحكومية وعدم العودة اليها قبل تحقيقمطالبهم .

وبين هؤلاء الذين ربحوا مؤقتا الوعود التركية والوظائف الحكومية ، هناك : الرئيسان ، المسلم والمسيحي ، للجنة بيروت الاصلاحية ، احمد بيهم ويوسف سرسق ؛ رئيس المؤتمر العربي عبد الحميد الزهراوي ؛ شكري العسلي وصديقه عبد الوهاب الانكليزي وعبد الكريم

الخليل ، عضو اللامركزية ورئيس المنتدى العربي ، وغيرهم من قادة الحركة (٧١) . وبالنسبة لمعظمهم كانت الوظيفة مؤقتة حيث ان كثيرين ، بمن فيهم الزهراوي والعسلي والانكليزي ، ضحوا بحياتهم من اجل القضية العربية سنة (١٩١٦) .على كل حال مكنت الفرصة المؤقتة الانتهازية جمعية الاتحاد والترقي من قسمة حركة الاصلاح ونزع الثقة منها ، دون اعطاء تنازلات ملموسة .

وفي مناورة مساوية في النجاح ، حاول الوحدويون اضعاف المعارضة في انتخابات ربيع (١٩١٤) بأن وعدوا بدعم عدة شخصيات سورية معارضة ، ثم امنوا انتخاب مناصرين من حزبهم . واضيفت الى صفوفهم عدة نكرات كانت ميزتها الوحيدة انها من العائلات نفسها ، المعروفة باتجاهها القومي العربي . من بين هؤلاء كان قريب مغمور لشفيق المؤيد ونسيب متقدم في السن لسليم الجزائري ، « احد مؤسسي العهد » ، واحد اقربائه الضباط ، ثم جيء بأنسباء علي النشاشيبي وسليم عبد الهادي وكلاهما عضو في اللجنة التنفيذية لحزب اللامركزية ، والاخير كان ضابطا قائدا قوميا (٧٢) . هؤلاء قاوموا اغراء الحل الوسط مع الاتحاد والترقي ، لكنهم ماتوا على المشانق في (١٩١٦) . ان تعيين اقربائهم (تعبير اصدق من الانتخاب) في المجلس كان دليلا على استمرار الاتحاد والترقي في مسيرته المتصلبة ، وهو يظهر كم كان هناك من الوطنيين الواجب تصفيتهم بالطريقة (المشرّفة) تلك . وبعد انتخابات نيسان ـ ابريل (١٩١٤) اتسعت صفوف الذين لم تهتز معارضتهم للاتحاد والترقي ، بواسطة الذين اشمأزوا من تصرف الحزب الحاكم في عملية الانتخاب الاخيرة . كان هناك القليل ليعمل واخبار القادة الذين تخلوا عن التزاماتهم، احدثت هبوطا في المعنويات في الشعب السوري الذي توقع الكثير من حركة الاصلاح ، وشعر طبيعيا انه خُدع (٧٣) . وكنتيجة لم ينتظر منهم ان يستجيبوا لنداءات اولئك الذين اظهروا ، باكرا ، ضعفا ونقصا في النضوج السياسي . ولان الحركة القومية كانت هشة وغير متطورة سياسيا ، ولوجود فجوة واسعة بين القادة والتابعين ، كان عند القوميين اختيار ثان واحد ـ الاتصال بقوة خارجية ـ مما اوقعهم في حيرة لان المحسن اليهم ضد الاتراك سيطلب حتما شيئا بالمقابل .

وبالنسبة للقليلين كانت المخاطرة مقبولة ، وبعضهم ذهب بعيدا وتعاون مع القوة الاوروبية. لكن ، بالنسبة الى الاكثرية ، كان قرار التعاون مع بريطانيا او فرنسا صعبا، لان رغبتهم في رؤية سوريا والاراضي العربية حرة من الاتراك كانت متوازنة مع عدم خضوعهم للتقسيم الاوروبي . ولسوء الحظ لم يكن ممكنا نيل المساعدة الاوروبية دون التورط في التدخل الاوروبي ، رغم ان كثيرين من الوطنيين ذهبوا الى المشانق ، دون ان يدروا كم كان ذلك حقيقيا .

ان القوميين العرب في «العهد» و «الفتاة» و « اللامركزية » اتصلوا بالبريطانيين عام (١٩١٥) ، مع بعض التحفظات . لكن اتصالهم كان متأخرا ، خلال الحرب ، لتأخذ مجراها نهضة عسكرية في سوريا . ثم اكملت الاتصالات بواسطة شريف مكة ، ذي الاحلام الخاصة المتشابهة مع اكثر القوميين العرب مثالية ، ومن تبعهم من السوريين . ولاسباب استراتيجية ، رحبت بريطانيا بالاتصالات العربية ، لكنها لم ترتح مع الحركة الشعبية السورية ، التي اظهرت قوة عام

(١٩١٢) و (١٩١٣) . ورغم حاجتها اليهم ضدالاتراك ، ترددت بريطانيا في العمل مع القوميين العرب المندفعين لسبب واضح ، انهم لن يقبلواالوصاية المتوقعة عليهم « كحلفاء جدد » . وخلال تحالفها مع الهاشميين وفرت بريطانيا ذلك علىنفسها ، لان التعاون معهم اعطى معظم الحسنات ولا شيء من سيئات التورط في الحركة القوميةالعربية المركزة في سوريا . وبسبب هذا التحالف ، وبسبب عدم النضوج السياسي ، وعدم الاستمرار في الحركة القومية وعند بعض قادتها ، واخيرا بسبب سوء الحظ في خسارة معظمهم على يد جمال باشا عام (١٩١٦) ، بسبب كل هذا كان انتصار القومية العربية في الحربالاولى انتصارا فارغا وآثاره في سوريا كانت مؤذية وطويلة الامد . فبدلا من ربح الاستقلالالكامل او حتى الذاتي ، قسمت سوريا الى اربع دويلات ، وابعدت عن جيرانها في الشرق والغرب ، وخضعت لعقود من الحكم الاستعماري الفرنسي والانكليزي . وفي سنوات ما بعد الحرب العالمية الاولى كانت الحركة القومية الوطنية هي الرئيسية التي قاومت التطورات وتغلبت عليها احيانا . ونظرا لضعفها وفشلها يجب ان ينظر اليها كبدء اتجاه في التاريخ العربي المعاصر .

ملحوظات :

(١) لافضل معالجة لنمو القومية العربية ، انظر جورج انطونيوس ، « اليقظة العربية » (لندن ، ١٩٣٩) والبرت حوراني ، « الفكر العربي في عصر النهضة » (اكسفورد، ١٩٦٢) خاصة صفحة (٢٦٠ ـ ٢٨٥) . مع مقالات عدة لـ « س. ايرنست دون » مجموعة تحت عنوان : « من العثمانية الى العروبة » (اوربانا ، اللنوي ، ١٩٧٣) .

(٢) انظر مثلا ما كتبه أ. قدوري ، « انكلترا والشرق الاوسط » (لندن ، ١٩٥٦) صفحة (٥٩ ـ ٦٥) .

(٣) انظر فيليب طرزي ، « تاريخ الصحافة العربية » (بيروت ١٩١٣ ـ ١٩٤٤) الجزء الاول .

(٤) انظر : حوراني ،« الاصلاح العثماني وسياسات الاعيان » في « و. ر. بولك » و « ر. ل. تشامبرز » ، ناشرون ، « اوائل التحديث في الشرق الاوسط » (شيكاغو ، ١٩٦٨) صفحة (٤١ـ٦٨) .

(٥) « د. شفالييه » ، « التطور الاوروبي والمسألة الشرقية في القرن التاسع عشر : سوريا في مواجهة الاقتصاد الاوروبي » : « بولك وتشامبرز » ، راي مذكور ، صفحة (٢٠٥ـ٢٢٢) .

(٦) البرت حوراني ، « الفكر العربي » ، صفحة (٢٦٦ ـ ٢٦٧) ؛ انطونيوس ، راي مذكور ، صفحة (٥٣ـ٦٠) ؛ الطيباوي ، « تاريخ سوريا الحديث » (لندن ، (١٩٦٩) ؛ م. ماعوز ، « الاصلاح العثماني في سوريا وفلسطين » (اكسفورد ، (١٩٦٨)) . هذه المراجع تعطي تواريخ تقريبية لابتداء الشعور العربي الانفصالي في سوريا وتتفق على التاريخ ، حوالي (١٨٥٠) .

(٧) الطيباوي ، راي مذكور ، صفحة (١٧٩ـ١٩٨) يمدح حكم عبد الحميد واثره في سوريا .

(٨) افضل دراسة على جمعية الاتحاد والترقي هي لاحمد فيروز ، « الاتراك الشباب » (اكسفورد ١٩٦٩) .

(٩) الطيباوي ، راي مذكور ، صفحة (١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦) .

(١٠) سي. أ. دون ، « نهضة العروبة في سوريا » ، « صحيفة الشرق الاوسط » (١٩٦٢) صفحة (١٤٥ ـ ١٦٨) . مقال مطبوع في كتاب « دون » المذكور .

(١١) سليمان موسى ، « الحركة العربية » ، (بيروت ١٩٧٠) صفحة (٥٩) .

(١٢) فيما يتعلق بهذه التغييرات الشخصية انظر احمد ، رأي مذكور ، صفحة (٢٢ـ٢٤) وامين السعيد ، « الثورة العربية الكبرى » (القاهرة ، ١٩٣٤) ، واحد : ٤ .

(١٣) انظر تعريف «دون» في اول المقال الوارد في الملحوظة (١٠) اعلاه ، صفحة (١٤٥) .

(١٤) السعيد ، رأي مذكور ، واحد : (٤) .

(١٥) وزارة الخارجية . ١٦/٢٣٤٢/١٩٥ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٢ شباط ـ فبراير (١٩١٠) . (وثائق موجودة في دائرة التسجيل العام ، لندن ـ الوثائق الفرنسية في وزارة الخارجية ، باريس) .

(١٦) وزارة الخارجية ، ٨٥/٢٣٤٢/١٩٥ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٦ حزيران ـ يونيو ١٩١٠ ، « لسان الحال » ، بيروت (٣ـ٦) حزيران ـ يونيو ١٩١٠ .

(١٧) وزارة الخارجية ، بانج الى لوثر ، ١٠ حزيران ـ يونيو ١٩١٠ .

(١٨) وزارة الخارجية ، ١١٦/٢٣٤٢/١٩٥ ، ديفي الى لوثر ، ١٢ تموز ـ يوليو ١٩١٠ .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) انطونيوس ، رأي مذكور ، صفحة ١٠٨ ـ ١١٢ و ١١٩ ـ ١٢٠ ـ حول : هذه الجمعيات المذكور نشاطها في : « الحقيقة في المسألة السورية » اسطمبول ١٩١٦ بناء لطلب جمال باشا . انظر ايضا : حوراني ، « الفكر العربي » صفحة ٢٨٠ ـ ٢٨٥ وامين السعيد ، رأي مذكور صفحة ٩ ـ ١١ و ١٤ ـ ٢٣ .

(٢١) منتخب رغم معارضة الاتحاد والترقي ، العسلي ، القائد العربي ، يوصف بما يلي: « ذكاء حاد ، حركية والعربية والقانون ؛ تصرف في الوظيفة بعدل وحماسة ؛ آراؤه ليبرالية ومنفتحة وهو من افضل المرشحين وذو شخصية بارزة تقدمية ، اكتسب لنفسه تقديرا وتعاطفا » . وزارة الخارجية ، ٢٧/٢٣٧٠/١٩٥ ، ديفي الى لوثر ، ٢٥ يناير كانون الثاني ١٩١١ .

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) لهذا الحادث ولمدح معارضة الشعب الفلسطيني للصهيونية قبل ١٩١٤ انظر : ن. ماندل ، « الهجرة التركية والعربية واليهودية الى فلسطين » ، ١٨٨٠ ـ ١٩١٤ . اطروحة دكتوراه ـ جامعة اكسفورد ، ١٩٦٥ ، مقال بالاسم نفسه في اوراق سانت انتوني ، ١٧ ، ١٩٦٥ : (٧٧ ـ ١٠٨) .

(٢٤) ماندل ، رأي مذكور ، صفحة ٢٤٥ ، من بين النواب : روحي الخالدي ، سعيد بك الحسيني من القدس ورياض بك الصلح من بيروت .

(٢٥) لهذا النقاش انظر «ماندل» ، صفحة ٢٤٠ ـ ٢٤٥ ، واحمد ، صفحة ٨٦ ـ ٩٠ .

(٢٦) عارض النواب العرب عام ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ اعطاء امتياز نهري في العراق لشركة بريطانية وهذا ربما اول تصرف كمجموعة وطنية . انظر احمد ، صفحة ٥٥ـ٥٧ ، ٦٦ـ ٦٧ ، وزارة الخارجية ٤٣/١٩٢/٨٠٠ ، لوثر الى هاردنج، ٥ يناير ـ كانون الثاني ١٩١٠ ووزارة الخارجية ٢٣٣/١١٩٣/٨٠٠ ، هاردنج الى لوثر ، ٢١ فبراير ـ شباط ١٩١٠ .

(٢٧) وزارة الخارجية ، ٦٠/٢٣٧٠/١٩٥ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٣ ابريل ـ نيسان ١٩١١ .

(٢٨) المصدر نفسه .

(٢٩) وزارة الخارجية ، ١٢٣/٢٣٧١/١٩٥ ، ديفي الى لوثر، ١٣ تموز ـ يوليو ١٩١١ .

(٣٠) وزارة الخارجية ، ١٣١/٢٣٧١/١٩٥ ، ديفي الى لوثر، ١٢ اغسطس ـ آب ١٩١١ .
مؤكد في تقرير وزارة الخارجية الفرنسية ، « تركيا ، السياسة الداخلية فلسطين والصهيونية » ن. س. (٣٨) غي الى دوسالف ، ١٤ ايلول ـ سبتمبر ١٩١١ .

(٣١) انظر ، احمد ، في نقله لراي احد الوزراء ، صفحة ٩٣ ـ انظر ايضا ، موسى ، صفحة ٢٨ـ٢٩ و ك. ت. خيرالله ، « المناطق العربية المحررة » (باريس ١٩١٩) صفحة ٣٢ .

(٣٢) احمد ، صفحة ١٠٣ـ١٠٤ .

(٣٣) وزارة الخارجية ، ٨٢/١٩٣ب/٨٠٠ ، فرتز موريس الى تيريل ، ٥ حزيران ـ يونيو ١٩١٢ . وفقا لمصدر واحد لم يكن بامكان المعارضة ان تربح اكثر من اربعة مقاعد . (موسى ، صفحة ٢٩) .

(٣٤) من اجل حملة ١٩١٢ الانتخابية انظر : وزارة الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١١٦) كوجيه الى بوانكاريه، ١٩١٢ ؛ ن. س. (١١٦) ، كوجيه الى بوانكاريه ٢٣ شباط ـ فبراير ١٩١٢ ، الخارجية ، ٢٤/٢٣٨٩/١٩٥/ ١٣٤١ ، ديفي الى لوثر ، ١١ مارس ـ اذار ١٩١٢ ؛ الخارجية البريطانية ، ١٣٣٨/٢٤/٢٣٨٩/١٩٥ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٣ اذار ـ مارس ١٩١٢ ، والصحف في الفترة نفسها .

(٣٥) المصدر نفسه والخارجية البريطانية ، ١٤٧٥/٢٤٢٣/١٩٥ ، ديفي الى لوثر ١٩ اذار ـ مارس ١٩١٢ .

(٣٦) احمد ، صفحة ٩٨ـ١٠٤ ؛ الخارجية البريطانية ١٦٨٨/٢٤٢٥/١٩٥ ، ساتو الى لوثر ٢٥ ابريل ـ نيسان ١٩١٢ ؛ الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١١٦) جرابان الى بوانكاريه ٣١ كانون الثاني ـ يناير ١٩١٢ من اجل التغييرات في المناطق من قبل الاتحاد والترقي قبل الانتخابات .

(٣٧) الخارجية البريطانية ١٤٧٥/٢٤٢٣/١٩٥ ديفي الى لوثر ١٩ اذار ـ مارس ١٩١٢ ، والخارجية البريطانية ١٩٥/ ٢٠٩١/٣٠٨/٢٤١١ ، ديفي الى لوثر ، ١ نيسان ـ ابريل ١٩١٢ .

(٣٨) الخارجية البريطانية ، ١٩٥٨/٢٤٢٧/١٩٥ ، ديفي الى لوثر ، ١٨ نيسان ـ ابريل ١٩١٢ . الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١١٦) اوثافي الى بومبار ، ١ اغسطس ـ آب ١٩١٢ .

(٣٩) الخارجية البريطانية ، ١٥٤٤/٤١٨/٢٤١٤/١٩٥ ، كمبربانش الى لوثر ، والخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن.س. (١١٦) غي الى بوانكاريه ، ١ اذار ـ مارس ١٩١٢ . فروقات بين الحسابين .

(٤٠) الخارجية البريطانية ١٧٥/٢٣١٢/١٩٥ ، ديفي الى لوثر ، ١٨ سبتمبر ـ ايلول ١٩٠٩ والخارجية البريطانية ١٩٥/ ٧/٢٣٤٢ ، ديفي الى مارلنج ، ٢ كانون الثاني ـ يناير ١٩١٠ .

(٤١) «دون» صفحة ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٤٢) السعيد ، صفحة ١ : ١١ ـ ١٢ وطرزي صفحة ١ والخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن.س. (١٢١) غي الى بيشون ، ٣٠ ابريل ـ نيسان ١٩١٣ : تقرير عن الصحافة في سوريا و «ماندل» صفحة ٢٢٢ـ٢٢٥ .

(٤٣) الخارجية البريطانية ٢٦٩٠/٢٤/٢٣٨٩/١٩٥ ديفي الى لوثر ، ١٩ ايار ـ مايو ١٩١٢ .

(٤٤) اسعد داغر ، « ثورة العرب » القاهرة ، ١٩١٦ ، صفحة ١٤٤ـ١٤٦ .

(٤٥) لمناقشة واسعة حول « العهد » انظر حسن صعب ، « الفدراليون العرب » في الامبراطورية العثمانية : امستردام ١٩٥٨ صفحة ٢٢٥ ـ ٢٤١ ؛ ايضا مجيد خدوري ، « عزيز علي المصري وحركة القومية العربية » ، « اوراق سانت انتوني » ١٧ ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٠ـ١٦٣.

(٤٦) تقارير عديدة ، الخارجية البريطانية ، ١٥٠٦ـ٨/٣٧١ ؛ والمصدر نفسه ٦/١٩٥ ـ ٢٤٤٥ ؛ الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. ١١٧ ـ ١١٨ .

(٤٧) السعيد ، ١ : ١٨ يشرح بعض المخاوف .

(٤٨) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١١٩) كوجيه الى بوانكاريه ، ٢ كانون الثاني ـ يناير ١٩١٣ ؛ السعيد صفحة ١ : ١٨ـ١١ .

(٤٩) الخارجية البريطانية ، ٦٠٢٠/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٩١٣/١/٢٤ .

(٥٠) الخارجية البريطانية ، ١٤٤٧٤/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ ؛ كمبربانش الى لوثر ، ١٩١٣/٣/١٢ .

(٥١) المصدر نفسه .

(٥٢) المصدر نفسه .

(٥٣) الخارجية الفرنسية ، ن. س. (١٢٠) كوجيه الى جونار ١٩١٣/٣/١٨ .

(٥٤) «المنار» ١٦ : ٤ ، ٢٨٠ ، ١٩١٣/٤/٧ ؛ السعيد ص ١: ٢٤ .

(٥٥) احمد ، صفحة ١٣٤ ؛ الخارجية البريطانية ، ١٧٩٧٥/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ ، كمبربانش الى لوثر ، ١٩١٣/٣/٢٧ .

(٥٦) المصدر نفسه ؛ الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٠) اوثافي الى بيشون، ١٩١٣/٣/٢٧، خيرالله صفحة ٤٠

(٥٧) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. ١٢٠ اوثافي الى بيشون ، ١٩١٣/٣/٢٩ ، ١٩١٣/٤/٤ .

(٥٨) برقية كمبربانش ، ١٩١٣/٣/٢٧ .

(٥٩) جمال باشا ، « مذكرات رجل الدولة التركي » (لندن ١٩٢٢) ص (٥٧) حيث يسمي العلي «الوقح» وينتقده مع زعماء عرب آخرين .

(٦٠) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٠) كوجيه الى بيشون ، ١٥/١٣/١١ نيسان ـ ابريل ١٩١٣ ، والخارجية البريطانية ١٨٥٨٣/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ ، ١٦٩٠٠ ، ١٦٩٦٦ ، ٢٠٣٢٨ ، كمبربانش الى لوثر ١٣/١٠/ ١٧/١٤ نيسان ـ ابريل ١٩١٣ .

(٦١) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٠) كوجيه ـ بيشون ، ١٩١٣/٤/١٥ .

(٦٢) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن.س. (١٢٠) بومبار ـ بيشون ١٩١٣/٤/٢١ .

(٦٣) المصدر نفسه ، اوثافي ـ بيشون ، ١٩١٣/٤/٢٣ ؛ الخارجية البريطانية ٢٢٥٨١/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ كمبربانش ـ لوثر ١٩١٣/٤/٢٨ .

(٦٤) المصدر نفسه .

(٦٥) البريطانية ، ٢٤٣٤٩/٢٥٣/١٧٧٥/٣٧١ ، كمبربانش ـ لوثر ١٩١٣/٥/١٣ .

(٦٦) الفرنسية ، تركيا ، ن.س. (١٢٠) دوفرانس ـ جونار، ١٩١٣/٣/١٣ ؛ بومبار ـ بيشون ١٩١٣/٤/١٩ ؛ كوجيه ـ بيشون ١٩١٣/٥/٢ .

(٦٧) المؤتمر العربي الاول ، القاهرة ١٩١٣ ، ص ١١٣ـ١٢١ .

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) المصدر نفسه .

(٧٠) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٣) كولوندر ـ بيشون ، ١٩١٣/٨/٢٥ .

(٧١) انطونيوس ، ص ١١٧ ؛ الخارجية البريطانية ، ٣١٦/٢٤٥٧/١٩٥ كمبربانش ـ ماليه ١٩١٤/١/١٦ ؛ الخارجية الفرنسية ، ن. س. ١٢٤ ، كوجيه ـ دوميرغ ١٩١٤/١/١٣ . ـ اوثافي ـ دوميرغ ١٩ ـ ٢ ـ ١٩١٤ وكوجيه ـ دوميرغ ١٩١٤/٢/٦ .

(٧٢) نتائج انتخابات ١٩١٤ ، الخارجية البريطانية ، ٢٤٥٧/١٩٥ ، والخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٤) .

(٧٣) الخارجية الفرنسية ، تركيا ، ن. س. (١٢٤) اوثافي ـ دوميرغ ، ١٩١٤/٢/١٩ .